الوجود الحقيقى بين التاوية وهايدجر

أ.د/ صفاء عبد السلام جعفر
أستاذ الفلسفة الحديثة والمعاصرة
ورئيس قسم الفلسفة
كلية الآداب – جامعة الإسكندرية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مدخل

يقول لاوتسى فى " الطريق إلى الفضيلة " :

« *معرفة الانسجام معناها: أن تكون أبدياً*

أن تكون أبدياً معناه،: أن تكون متجلياً

كل ما كان على خلاف الطريق فسوف ينتهى سريعاً »[١].

ويعنى ذلك: أن " التاوية " تهدف إلى تحقيق ذات منفتحة.

يقول تشوانج - تسو فى هذا الصدد:

« *عندما يصل عالمك الداخلى إلى حالة السكون التام، فإنه يشع ضوءاً سماوياً، من يشع بنوره السماء، يشعر بذاته الحقيقية، ومن يرعَ ذاته الحقيقية، يقبض على الأبدية فى الحاضر* »[٢].

ويبدو أنه فى حالة الاستغراق التاوى لا يحاول المتأمل إفراغ عقله قسراً، بل يتركه على سجيته، يتلقى الأفكار ويتركها دون الإمساك بها، أو إعطائها تفكيراً ثانياً، وجعلها تتردد فى الذهن، وبهذا يغدو العقل مرآة مصقولة تعكس كل الصور دون أن تقبض على واحدة منها، فالأفكار تركيبات عقلية مؤقتة وزائلة، فلنتركها لتنعكس على صفحة العقل ثم تتلاشى[٣].

إن التأمل والاستغراق الباطنى لا يسعى إلى البحث عن الحقيقة بشكل قصدي؛ بل تلقائى من خلال مبدأ اللافعل،وبذلك يصل المتأمل إلى حالة " الإنارة " - التى ربما نجد لها مقابلاً عند هايدجر كما سنرى - بحيث يبدو طريق التاوية وكأنه يتم قطعه فى وثبة واحدة بسيطة، وتكمن صعوبة هذه الطريقة فى بساطتها المفرطة[٤].

فإذا كان هذا هو مفهوم الإنارة والانفتاح عند لاوتسى فإلى أى مدى يقترب هذا المعنى من مفهوم الإناره والانفتاح عند هايدجر فى تفكيره المتطور ؟ وما علاقة ذلك

---

(١) لاوتسى: " الطريق إلى الفضيلة "، ترجمة عبد الغفار مكاوى،مراجعة مصطفى ماهر ، مطابع سجل العرب،القاهرة،١٩٦٧، ص: ١٤٤.

(٢) لاوتسو: " الطريق إلى الفضيلة.انجيل الحكمة التاوية فى الصين ،دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة ،دمشق،١٩٩٨ " ، ترجمة ودراسة وتعليق فراس السواح، ص: ١٤٥.

(٣) المرجع الأخير نفسه ، ص: ١٤٤ - ١٤٥.

(٤) المرجع نفسه، ص: ١٤٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المفهوم بالوجود الحقيقى عند كليهما ؟ ذلك هو السؤال المحورى الذى سنحاول الإجابة عنه فى هذا البحث.

(أولاً) الإنارة والانفتاح فى التاو :

يمكن القول بأن " الإنارة " بالمفهوم التاوى أشبه بالقفز فوق خندق عميق عليك أن تقوم بها دفعة واحدة؛ فإما أن تصل إلى الطرف الآخر وينفتح عقلك على الحقيقة أو تبقى فى مكانك(¬)(١).

إن الحكيم التاوى هو الذى يدرك أخيراً لا جدوى الكلمات، ويثبت قلبه على حقيقة الفراغ(٢).

يقول لاوتسى:

« *الكلام الكثير يقود أخيراً إلى الصمت*

ثبِّت قلبك على جوهر الفراغ »(٣).

هذه الحقيقة الروحية للفراغ هى التى تفتح البصيرة على منشأ الأشياء كلها أو "الفراغ العظيم " الذى يعطى دون أن ينضب معينه، علماً بأنه من خلال السكون وإفراغ الذهن من كل انشغال بالذات الفردية يمكن تحقيق جوهر الفراغ، وعندما يصل الإنسان إلى حالة الفراغ التام يمتلئ بالعدم الخلاق الذى هو جوهر التاو. وجدير بالذكر أن هذا العدم يفسح المجال أمام العقل كى يستوعب الحقائق العليا التى لا نتوصل إليها بإعمال العقل، وإنما بتركه يصل إلى أقصى درجة فى الاسترخاء الذى هو موقف سلبى بالمعنى الخلاق للسلب، وكلما استسلم المريد التاوى لحالة السلب هذه، اقترب من الحقيقة الروحية للفراغ(٤).

(¬) الإنارة فى المفهوم البوذى لها معنى مختلف؛ فهى تقوم على تدريب المريد على تحقيقها وفق تمرينات يتعلمها على يد أستاذه، أما فى التاوية فلا توجد تعاليم، ولا توجد قواعد مرسومة أو تمرينات مقررة، وتقتصر مهمة المعلم على الأخذ بيد المريد ليكتشف الحقيقة وحده من خلال تجربة خاصة يعانيها.

(١) فراس السواح: " الطريق إلى الفضيلة "، ص: ٢٠٢.

(٢) المرجع نفسه، ص: ١٣٦.

(٣) لاوتسى: " الطريق إلى الفضيلة "، ترجمة فراس السواح، ص: ٣٩.

(٤) المرجع السابق، ص: ١٣٧ - ١٣٨.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يقول لاوتسى:

« *الحكيم يضع نفسه فى المؤخرة*

ليجدها فى المقدمة

عدما ينسى نفسه يجد نفسه

لأنه لا يشعر بنفسه

فهو قادر على تحقيق ذاته »[١].

ويعنى ذلك أن " التاو " لا يشعر بوجوده الخاص لأنه ليس كائناً ذا شخصية وطباع وأهواء، ولأن وجوده هو عين وجود الظواهر، كما أنه لا يعرف كيف صدر عنه الكون معرفة الصانع للكيفية التى صنع بها أداته، وذلك لأنه لا يتمتع بمعرفة خاصة به، ولأن معرفته هى عين حركة الظواهر وصيرورة الكون؛ فالمطلق لا يشعر بوجوده شعور الأنا النسبية بوجودها الخاص، أما " الأنا " فكلما أمعنت فى التوكيد على ذاتها، زاد إحساسها بوجودها المستقل القابل للفناء[٢].

يتضح من ذلك أن الهدف الأسمى للحكيم هو التشبه بالتاو عن طريق نكران الذات الفردية، وتحقيق ذات منفتحة؛ فالإنسان لا يجد نفسه الحقيقية إلا عندما يستغرق فى نسيان نفسه الفردية التى هى وهم زائل، علماً بأن الذات المنفتحة تتضمن الأنا الفردية وتتجاوزها، وأن المعرفة الحقيقية للأنا تقود إلى معرفة الذات، وعندما يتوصل التاوى إلى معرفة ذاته يعيش فى حالة تدعوها التاوية والبوذية معاً " باللاإنية " التى يتجاوز فيها الوعى الفردى ذاته المحدودة إلى الذات المنفتحة أو " اللا أنا "؛ وذلك هو معنى ما سبق ذكره من أن الحكيم يضع نفسه فى المؤخرة ليجدها فى المقدمة، وأنه عندما ينسى نفسه يجد نفسه، بمعنى أنه يصبح قادراً على تحقيق ذاته[٣].

إذن الفرق واضح بين موقف الإنسان العادى من الحياة اليومية، وموقف الإنسان التاوى، فالإنسان العادى مستغرق فى تنافسه مع الآخرين لإثبات ذاته، اما التاوى الذى تحرر من ذاته المفردة، فقد تحرر أيضاً من وهم المكانة المميزة، وهو عندما ينجز عملاً ما لا ينظر إلى ما يترتب عليه من نتائج عملية.

---

(١) المرجع السابق، ص: ٤١.

(٢) لاوتسو: " الطريق إلى الفضيلة "، ترجمة ودراسة فراس السواح، ص ١٤٥.

(٣) المرجع نفسه، ص: ١٤٠

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويعنى ذلك أن الفضيلة فى التاوية لا تُكتسب بالتعلم، وإنما يكتشفها الفرد فى أعماق نفسه عندما يغدو قادراً على تحقيق ذات منفتحة[١]؛ وبعبارة أخرى فالفضيلة هى الحركة الداخلية التىتقود إلى تفتح المظاهر من الداخل نحو الخارج لتنتظم فى كل موجود متناسق من تلقاء ذاته، ومن دون خطة مسبقة محكمة؛ أى أن الفضيلة تمثل وعى الحكيم المنفتح للكون، وهو فى تجاوزه لحدود الأنا الفردية يعبر عن نوع من القوة الداخلية المنبثة فى الكون والإنسان مع الأخذ فى الاعتبار المفهوم التاوى للقوة: فاعلية تلقائية دونما قسر[٢]؛ أى أن كل ما فى الكون ينتظم من تلقاء ذاته وفق قوانين التاو الداخلية، ومن دون الحاجة إلى تدخل قوة خارجة عن العالم[٦][٣].

إن عقل الحكيم لأشبه بمرآة للكل، وهو فى ذلك يمثل " التاو " الذى يتخلل " عقله " كل شئ، ولكنه لا يشعر بعقل خاص به، أو بذاته الفردية، ومعنى الانشغال بما عداه هو الانشغال بكل ما يتجاوز الأنا المفردة المحدودة، وعندما يحقق الحكيم حالة الفراغ التام ويوحد بين معرفته وموضوعاتها، بين ذاته المنفتحة والكون، فإنه يدرك حقيقة الثنائيات ويتجاوزها إلى وحدتها العليا[٤].

يتضح من ذلك أنه عندما تنظر الأنا إلى نفسها من خلال التاو، وتتحول إلى "ذات منفتحة" فإنها تكتشف الحرية الكبرى: حرية الامتثال إلى تلقائية الكون وحركة التاو[٥]؛ ولكن الناس غافلون عن حقيقتهم، منغمسون فى رغباتهم، وذواتهم الفردية الزائلة، لذا فإنهم لا يرون الطريق الممهد؛ بل يضلون فى طرق وعرة تقود إلى التطاحن وتمايز الشرائح الاجتماعية[٦].

إن تحقيق " الذات المنفتحة " هو هدف التاوية، وهذه الذات تشتمل على الأنا

---

(١) المرجع نفسه، ص: ١٤٢ - ١٤٦.

(٢) المرجع نفسه، ص: ١٤٧.

(٦) تختلف التاوية عن الكونفوشية فى هذا الصدد؛ فالتعاليم الكونفوشية تهدف إلى ضبط سلوك الفرد والجماعة وفق لوائح أخلاقية مفروضة؛ أما التاوية وانطلاقاً من إيمانها بالطبيعة الإنسانية، فإنها تساعد الإنسان على اكتشاف ذاته الحقيقية، وأن يكون على ما هو عليه بالفعل.
(قارن: فراس السواح: " الطريق إلى الفضيلة "، ص: ١٩٤)

(٣) المرجع نفسه، ص: ١٩٤.

(٤) المرجع نفسه، ص: ٢١٧.

(٥) المرجع نفسه، ص: ٢٢٢.

(٦) المرجع نفسه، ص: ٢٢٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتتجاوزها، إنها هذه الحياة بالذات، وهذه الأنا بالذات، ولكنها فى الوقت نفسه حياة كونية وروح كونية. إن المعرفة الحقيقية بالأنا تقود إلى معرفة الذات، وعندما يتوصل " التاوى " إلى معرفة ذاته يعيش فى " اللا إنية " التى توحد بينه وبين الآخرين والعالم(١). ومن ناحية أخرى فإن الذات عند التاوى تتجاوز جميع مظاهر الاختلاف وتعكس كالمرآة عدداً غير محدد من العوالم، يمثل كل منها نظرة معينة لعالم ما، فضلاً عن أن انعكاس الأشياء الفردية فى خصوصيتها المميزة ليشتمل أيضاً على انعكاس مجموعة معقدة من أنظمة يتشابك كل منها مع مركزه المميز(٢).

إن أكثر تجارب الحكيم عمقاً ليست عن واحدية الأشياء أو عن الواحدية(¬) مع كل الأشياء؛ إنها أقرب إلى تجربة خصوصية كل الأشياء، كما أن الحكيم التاوى يرتبط بالعالم بطريقة تشتمل على معنى المرآة فى انعكاسها(¬)، حيث يرى النظام وظيفة لكل عنصر من مجموع الأشياء، علماً بأن الأنظمة فى هذا العالم غير محددة بل ومتداخلة(٣).

والانفتاح الذى يحققه التاوى يعبر عن أسلوب خاص لمواجهة الأشياء، ولإدراك المنظورات المتنوعة المتاحة لعالم الموجودات(٤) واضعاً فى الاعتبار أن تحول الأشياء يعنى أنه لا وجود لفقدان كامل، وإنما توجد فقط عمليات من التحول تدرك صيرورة ما لم يأت بعد(٥).

(ثانياً) الإنارة والانفتاح عند هايدجر فى تفكيره المتطور :

تتخذ الإنارة والانفتاح مجالاً مختلفاً عند هايدجر فى تفكيره المتطور وهو مجال اللغة.

يقول هايدجر :

« *... اللغة عندما تسمى الموجودات لأول مرة، تكون هذه التسمية مشروعاً للإنارة، فالقول الذى يتخذ هيئة المشروع هو الشعر*(¬) *... قول العالم والأرض يعبر*

---

(١) المرجع نفسه، ص: ٢٤٣.

(2) Routledge, Ency. of Philosophy.eclit by Graig.E.vol2, London.1Taoism,1998 P. 791

(¬) Oneness.

(¬) a mirroring manner.

(3) Ibid, P. 792.

(4) Ibid, P. 794.

(5) Ibid.

(¬) Das entwerfende Sagen ist Dichtung - Projective Saying is Poetry.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عن المشروع فى نزالهما وصراعهما ... الشعر هو القول الذى يكشف عما هو موجود، واللغة هى بمثابة حدوث لهذا القول ... »[١].

يتبين لنا من النص السابق أن " الشعر " جوهر الفنون، لأن الشعر " لغة "، واللغة هى أداة الإنسان لإظهار المحتجب، أو هو تجلى الموجود الإنسانى فى العالم الخارجى[٢].

إن اللغة هى القرب الكامن فى قوى العالم الأربع: الأرض - السماء - الفانون - الخالدون، وهى " التجميع الأصلى " فى تفسير هايدجر لكلمة " اللوجوس " عند هيرقليطس، وهى لذلك ساكنة وبلا صوت، لأنها هى التى تنعم على الإنسان بفعل " يوجد " بحيث تكون لغة " السكينة " هى لغة الماهية، واللغة " تعبر "، وهى بذلك " تدل "، و"تشير" وتصل إلى كل جهات الوجود، فتظهر الموجودات أو تحجبها، و " الإظهار " حدث يدركه الإنسان بالإنصات إلى حديث اللغة، وحديث اللغة هو " الحدث " الذى يمنح الإنارة والانفتاح للموجود ويعطيه كلمة " يوجد "، ويرد الموجودات إلى أصله؛ أما عن " النطق " فهو فى حقيقته تطابق مع قول اللغة وحديثها: فاللغة تستخدم الإنسان لكى ينطق عما تقوله اللغة الساكنة[٣].

إذن، اللغة تدعو الأشياء للحضور، والأشياء التى تدعوها اللغة وتسميها تجتمع فيما يسميه هايدجر " بالرباع " كما سبق بيانه، ومنذ زمن بعيد يتحد هذا الرباع بشكل فريد يجعل من الأشياء التى تسميها اللغة رباعاً يقيم فى حياة الإنسان[٤]. ويعنى ذلك أن الكلمات أو " اللغة " هى " الجهة " التى تسمح للأرض والسماء، وتدفق الأعماق وقوة الأعالى بأن تتقابل وتتفاعل. وفى هذا التفاعل يتم القرب والإظهار والإحضار، أى يكون الوجود؛ أى أن " اللغة " عند هايدجر هى " سيدة العلاقات "، ومحركة العالم، وكاشفة الوجود؛ فهى التى تعطى وتمنح، تحفظ وتحمى، وعلى الإنسان أن يسكن فى بيتها، ويحرسه ويرعاه[٥].

إن الشعراء - عند هايدجر - هم الذين يكشفون عن حقيقة الوجود، لأنهم وحدهم

---

(1) Heidegger, M.: "Der Ursprung der Sprache", Philipp Reclanjum, Stuttgant, Germany, 1985 SS. 73 - 76.

(٢) زكريا إبراهيم: " فلسفة الفن فى الفكر المعاصر "، سلسلة دراسات جمالية (١)، مكتبة مصر، الفجالة، القاهرة، ١٩٦٦م، ص: ٢٧١.

(٣) عبد الغفار مكاوى: " نداء الحقيقة "، ص: ٢١٨ - ٢١٩.

(4) Kockelmas, J. J.: "On the Truth of Being", Indiana llni, press, Bloomingtan, U.s.A, 1984, P. 154.

(٥) عبد الغفار مكاوى: " نداء الحقيقة "سلسلة دار الثقافة للطباعة،القاهرة،،١٩٧٧ ص: ٢١٧.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الذين يؤسسون ما هو باقٍ، والباقى هو الوجود نفسه الذى يتجلى فى نوره كل موجود، ويتم ذلك عن طريق القول الحقيقى الذى " يسمى " رباع العالم الفريد، وبهذه التسمية يؤسسها فى الوجود، ويضعها فى نوره، وهذا القول الجوهرى هو الشعر، والشاعر ينطق بواسطته عن حقيقة الوجود(١).

والشاعر - عند هايدجر - يسمى المقدس(¬)، لأن الكلمة الشاعرية تكشف ما يُسمى بإحضاره فى نور " العالم "، والعالم فى الوقت نفسه ذو طبيعة أرضية، وهو - من ثم - يحتجب عند اكتشاف الموجود. ومن ناحية أخرى " فالمقدس " هو المجال الأساسى الذى تظهر فيه الألوهية(¬¬) ورسل الربوبية عند هايدجر(٢).

يرى هايدجر أن " الحقيقة " تحدث بتأسيس ذاتها فى الصراع والمجال المفتوح عن طريق الحقيقة ذاتها؛ علماً بأن معنى الحقيقة عند هايدجر - كما هى الحال لدى اليونان - هو الكشف **á - letheia** عن الموجودات أو انكشافها .(٣).

إن كل ما يوجد يوجد من جراء الإنارة، وهذا النور أو المجال المفتوح هو معبر إلى الموجودات التى هى نحن أنفسنا، وبفضل هذه الإنارة يتم انكشاف الموجودات، والانكشاف يحدث بطريقتين مختلفتين:

(١) تختفى الموجودات وترفض الظهور أحياناً.

(٢) يخفى أحد الموجودات الآخر أحياناً أخرى، وفى هذه الحالة يكون الحجب تنكراً، وهذا الحجب المزدوج المتمثل فى الظهور والتخفى يعبر عن ماهية الحقيقة بوصفها كشفاً وحجباً فى آن واحد. " فالحقيقة " - كما يقول هايدجر - هى أيضاً " لا حقيقة "(٤).

فى المؤلفات المتطورة لهايدجر أدى اللوجوس دوراً أساسياً حيث استخدم لتوضيح أن محاولة التفكير فى مشكلة الوجود يجب أن تشتمل على التأمل فى ماهية اللغة، وأن

---

(١) عبد الغفار مكاوى: " شعر وفكر-دراسات فى الأدب والفلسفة ،الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٠م ، ص: ٧٢.

(¬) Das Heilige - The Holy.

ووردت هذه العبارة: « *الشاعر يسمى المقدس بينما يتحدث المفكر عن الوجود* » فى قصيدة هيلدرلين باخموس.

(¬¬) Gottheit - Divinity.

(2) Parotid, J. L.: "Heidegger on the Divine ,The Thinher,The poet and God, Ohio Umo,press,U.S.A,1974, P. 92 - 100.

(3) Kockelmaus, J. J.: "On the Truth of Being", PP. 186 - 187.

(4) Ibid, P. 182 - 183.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التأمل فى ماهية اللغة هو الطريق الأساسى الذى ينبغى أن نسلكه إلى الوجود[١].

يبدو مما سبق أن هايدجر قد ربط بين الوجود وأصل اللغة برباط وثيق، فاللغة هى الوجود ذاته فى صورة كلمات، ومع ذلك ففى العلاقة بين الوجود واللغة: لغة الموجود الإنسانى، تبقى لغة الوجود فى مكان الصدارة. إن كلام الإنسان الحقيقى إنما هو استجابة "لصوت الوجود الصامت " كما يرى هايدجر، والنتيجة هى أن اللغة " تبدو " كما لو كانت فى متناول الموجود الإنسانى أو من اختراعه، بينما ينكشف ذلك الموجود ذاته فقط من خلال اللغة، ويعنى ذلك أن الموجود الإنسانى فى حديثه يمكنه أن يصل إلى الحقيقة فقط عندما يتجه إنصاته وكلامه نحو قول الوجود(¬)[٢].

فى " المدخل إلى الميتافيزيقا " ١٩٣٥ وصف هايدجر الوجود بأنه "*لغة اللوجوس فى ضوء الانفتاح* "، وبوسع الموجود الإنسانى أن يكون ذاته الحقيقية بوصفه أفق الوجود نظراً لأنه لغة أو لوجوس، واستناداً إلى أن " اللوجوس " يمدنا بالأساس اللازم للاستخدام الحقيقى للكلمات، وهو الأمر الذى يدركه الشعراء والمفكرون إدراكاً حقيقياً[٣].

إذن، اللغة الحقيقية هى التى تحضر من خلالها الموجودات فى انفتاح الحقيقة، وهذه اللغة هى الشعر؛ فاللغة هى التى تدعو إلى حضور رباع العالم الفريد - **das Geviert Fourfold** الأرض - السماء - الفانون - الخالدون (رسل الربوبية)، وتدعو الأشياء إلى الحضور، كما تدعو إلى العلاقة الحميمة بين العالم والأشياء والفرق بينهما[٤].

إن الوجود (الواحد) يُدرك بوصفه رباعاً فريداً، وهذا الرباع بدوره يترك الأشياء كى توجد، ويسمح بالتفكير فى الموجودات؛ فاللغة فى أصلها لوجوس وصمت يجد فى رحابه كل الموجودات ما يحتاجونه من راحة وسكينة[٥].

يرى هايدجر أن الإنسان لا يكون كذلك إلا بقدر ما ينصت إلى نداء اللغة، وبقدر ما يُستخدم للغة وللحديث بها، وهذه العبارة تقلب علاقة الإنسان باللغة رأساً على عقب: فإذا

---

(1) Ibid, P. 148.
(¬) The Saying of Being.
(2) Ibid, P. 149.
(3) Ibid, P. 150.
(4) Heidegger, M.: "Poetry, Language, Thought", Trans. and Introduction by Hofstadter A., P. IX, X, XII, XIII.
(5) Richardson, W. J.: "Heidegger, Through Phenomenology to Thought", Preface by M. Heidegger, Martinus Nijhoff, The Hague, Netherlands, 1963, P. 577.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كانت اللغة سكن الإنسان الذى يحيا فيه دون أن ينتبه إليه أو يتفكر فى أمره، فهو أبعد الأشياء عنه وأقربه إليه فى الوقت نفسه. والإنسان هنا يتوارى قليلاً كى تحتل اللغة المقدمة كما سبق بيانه؛ فاللغة هى التى تستخدم الإنسان وعليه أن ينصت إليها[١]، والإنسان من حيث طبيعته " ملقى " به فى اللغة؛ أى أنه فى حدوث اللغة يصبح للوجود مكان الصدارة لا بمعنى سلبى متضمن فى واقعة الارتماء فى العالم الخاصة بالعالم الإنسانى[٢].

أورد هايدجر فى أعماله المتطورة وبخاصة فى محاضرته عن " الشئ " تسميته " للرباع " أى اتجاهات العالم الأربعة من أرض وسماء وفانين وخالدين فى علاقتهم ببعضهم البعض، وفى محاضرة " اللغة " أوضح كيف أن اللغة هى التى تحمل تفاعل هذا الرباع أو هذه الوجهات الأربع أو هذا العالم، وفى هذا التفاعل يحدث القرب، والقرب والقول عند هايدجر أسلوبان لإظهار اللغة، وإحضارها للموجودات من التحجب إلى النور والانكشاف[٣].

إن ما يميز علاقة الجوار - فى رأى هايدجر - هو مواجهة كل عنصر من عناصر الرباع للآخر، وهذه المواجهة تنشأ من المسافة بين الأرض والسماء، الإله والبشر فى رباع العالم، ولكى نجرب الوقوف فى مواجهة[¬] الأشياء والعالم بهذه الطريقة علينا أن نستنقذ أنفسنا أولاً من الإطار الحسابى للعقل[¬¬][٤].

يرى هايدجر فى محاضرته " الشئ " أن الشئ يجمع العناصر الأربعة المتمثلة فى الأرض والسماء والفانين والخالدين، وأن هذه العناصر تلتقى فى وحدة أصلية تؤلف ما يسمى " بالرباع الفريد " كما سبق بيانه، ومع ذلك فإن كل عنصر مستقل بذاته متمتع بحريته، والخالدون هم " رسل الربوبية " من جوهرها الأزلى المقدس يتجلى جوهر الإله لنا، أو يحجب من خلاله

---

(١) عبد الغفار مكاوى: " نداء الحقيقة "، ص: ٣٠.

(2) Kocklemans, J. J.: "On the Truth of Being", P. 149.

(3) Heidegger, M.: "Die Sprache", in Unterwegs zur Sprache Vittorio Klostermann, Frankfurt am Main, Gesamtausgabe, Band 12, Germany, 1985, S. 19 - 20.

(¬) استخدم جيته **Geothe** عبارة كل فى مواجهة الآخر ليس فقط فيما يتعلق بالإنسان، وإنما أيضاً فيما يتعلق بأشياء العالم، وعندما تتم هذه العلاقة، فإن الأشياء جميعاً يتحقق لها الانفتاح بعضها على البعض الآخر، ومن ثم يحقق كل منها وجوده.

(C.P.: Heidegger, M.: "Das Wesen …", S. 199).

(¬¬) Das rechnende Vostellen - The calculative form of mind.

(٤) عبد الغفار مكاوى: " مقال ما هو الشئ ؟ فى مدرسة الحكمة "، دار الكاتب العربى، القاهرة، ١٩٧٠م، ص: ٢٩٢ - ٢٩٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عنا، و" الفانون " هم البشر لأن الإنسان وحده هو الذى يعانى تجربة الموت ما بقى موجـــوداً على الأرض، تحت السماء، وأمام الخالدين، ووحدة العناصر الأربعة نطلق عليها اسم "العالم"، وعلى الإنسان أن يشعر بهذه الوحدة الأصلية للعناصر الأربعة، وأن يبقى عليها فى الأشـــياء، وذلك هو معنى وجوده وسكنه على الأرض(١).

ومن ناحية أخرى، رأى هايدجر أن الحركة(¬) فى صميم رباع العالم تحقق القـــرب رغم المسافة بين الموجودات، وأن هذه الحركة تمهد السبيل لتجربة مواجهة كل عنـــصر من عناصر الرباع للآخر، ويبقى هذا القرب أبعد ما يكون عنا عندما نتحدث " عنه "، كما أن المكان والزمان كوحدتين للقياس لا يمكنهما أن يحـــدثا " القـــرب " أو أن يخـــضعانه للقياس. يفسر هايدجر ذلك بأنه فى حالة تتابع الآنات كوحدات للقياس الزمانى، فإن " الآن " لا تنفتح فى مواجهة الآن الأخرى، كما أنه فى ذلك التتابع لا يمكننا القول بـــأن " الآن " اللاحقة و " الآن " السابقة ينغلق كل منهما على ذاته، فالإنغلاق عند هايـــدجر لـــم يـــزل أسلوباً للمواجهة، أو بالأحرى لاستبعاد مواجهة الواحد للآخر، ولكن هذه المواجهة بما هى كذلك تبقى مستبعدة من مفهوم الزمان كوحدة قياس، والشئ نفسه يقال عن المكان(٢).

ذهب هايدجر إلى أن الصلة الحميمة بين العالم والشئ لا وجود لهـــا إلا عنـــدما ينفصل كل منهما عن الآخر بوضوح، ويسمى هايدجر هذا الانقسام " بالفرق"(٣)(¬ ¬)، وفى هذا الفرق يتم حضور الأشياء وصلتها الحميمة بالعالم، علماً بأن هذا الفرق هـــو ظاهرة فريدة، ولا يؤخذ هنا بمعنى الاختلاف بين أنواع متعددة؛ إنه اخـــتلاف فريـــد يستبعد الوسط، ومن خلاله يصبح العالم والأشياء فى وحدة؛ فهو يوجه العـــالم نحـــو الأشياء، والأشياء نحو العالم، وليس هذا الفرق " شيئاً " ثالثـــاً نـــضيفه إلـــى العـــالم والأشياء؛ إنه بالأحرى يحدد العالم والأشياء فى حضورهما، وفى وجود كل منهما فى اتجاهه نحو الآخر(٤).

هذا " الفرق " لا يمكن تجريده عن العالم والشئ بوصفه العلاقة بينهما؛ فهو يكشف

---

(١) المرجع نفسه، ص: ٢٩٢ - ٢٩٣.

(2) Heidegger, M.: "Das Wesen …", S. 199 - 200.
(3) Heidegger, M.: "Das Wesen Der Sprache …", S. 22.
(¬) Be-Wegen- Movement
(¬ ¬) Unter-Schied - The difference.
(4) Kockelmans, J. J., "On the Truth of Being", P. 155.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عن الحادث(¬) فى الأشياء عندما تُحضر العالم، وفى العالم فى علاقته بالأشياء(١).

إن الدعوة الأولى إلى القرب بين الأشياء والعالم هى بمثابة نداء حقيقى، وهى دعوة تعبر عن ماهية حديث اللغة، فاللغة " تتحدث " حقاً، وما تدعو إليه يأتيها من خارج الفرق إلى مجاله الداخلى حيث تستقر الأشياء فى العالم، وبذلك يحرر " الفرق " الأشياء ليحقق كل منهما وجوده الخاص(٢).

وإذا كانت ماهية الحجب (حجب الموجود) تعبر بطريقة ما عن الوجود ذاته، فإنها تفسح المجال للانفتاح بحيث يصبح ذلك الانفتاح مجالاً يتجلى فيه كل موجود بطريقته الخاصة، والحقيقة تحدث فقط بأن تؤسس نفسها فى المعركة (بين الإنارة والحجب)، والمجال المفتوح عن طريق الحقيقة ذاتها. ولأن الحقيقة هى ذلك التعارض بين الإنارة والحجب، فإن التأسيس(¬¬) يعبر عنها؛ فالحقيقة ليس لها وجود مسبق فى مكان ما بين النجوم مثلاً، وإنما توجد فيما بعد بين الموجودات(٣).

يقول هايدجر: « *إنارة الانفتاح، والتأسيس فى المنفتح ينتمى كل منهما إلى الآخر، ويمثلان ماهية حدوث الحقيقة. وبمقدار ما يتجاوز العلم فكرة الصواب إلى الحقيقة التى تعنى الانفتاح الأصلى لما هو موجود، يصبح فلسفة* »(٤).

ويمكن القول - فى ضوء ما سبق - إن الإنكار(¬) بطريقة الحجب لا ينفصل عن الكشف بوصفه " إنارة "، والسبب فى ذلك هو " تناهى حدوث حقيقة الموجود "، والنتيجة هى أنه بينما تتكشف الحقيقة فى تركها الموجودات لتوجد، فإنها أيضاً تحتجب أو تختفى(٥).

(ثالثاً) الوجود الحقيقى فى تاوية لاوتسى :

يقول لاوتسى:

« *إرع " هذه الفضيلة " فى نفسك*
وسوف تكون فضيلة حقة

(¬) **Das Ereignis - Appropriation.**
(1) Heidegger, M.: "Das Wesens des der Sache…", S. 22.
(2) Kockelmans, J. J., "On the Truth of Being", P. 155 - 157.
(¬¬) **Einrichtung - Establishing**
(3) Heidegger, M.: "Des Ursprung, Des Kunstwerkes, Pholipp Reclanjun …", S. 61.
(4) Ibid, S. 61 - 62.
(¬) **Versagen - Refusal**
(5) Kockelmans, J. J., "On the Truth …", P. 182 - 183.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إرع " هذه الفضيلة " فى العالم
وسوف تشمل الجميع على السواء »(¬¬)(١).

الإنسان الحقيقى - عند لاوتسى - يسلك بتلقائية، ودون تفكير مسبق، بينما يسعى الإنسان فى وجوده الزائف إلى الاستعراض ولفت الأنظار؛ إنه لا يحيا حياته كما يجب؛ بل كما تفرض عليه صورته غير الحقيقية التى يؤكدها فى كل موقف.

إن الفعل عند التاوى مكتف بذاته، والإنجاز حر من التظاهر وتوكيد الذات؛ فالسعادة الحقة تكمن فى الرضا عن النفس، وفى السلوك النابع من معرفة فعلية بالذات(٢)؛ أى أن " الحكيم " لا يملك ما يقوله للناس بشأن الأخلاق؛ بل يقدم لهم العون على تحقيق " ذات منفتحة "، وذلك أن الأنا المنغلقة على ذاتها هى التى تتطلب التعاليم الأخلاقية المنظمة لعلاقاتها مع الغير، أما الذات المنفتحة، فإن سلوكها هو عين أخلاقها(٣)(¬).

إن الوجود الحقيقى فى أسمى تعبير له هو " *ألا تتبع شيئاً فيما عدا التاو* "؛ فالواحد أو التاو يجعل السماء صافية، ويحقق الراحة للأرض، ويمد النفوس بالقوة، ويحقق الازدهار للألوف المؤلفة من الأشياء، ويجعل العالم مستقراً من خلال الحكام(٤).

ويعنى ذلك أن الحكيم التاوى ليس معلماً أخلاقياً بل هو معلم روحى؛ ذلك أن التاوية لا تأبه للأخلاق المفروضة على الإنسان من الخارج؛ بل ترى أن السلوك التلقائى للأفراد إذا تُركوا على سجيتهم سوف ينحو منحى أخلاقياً بالضرورة، بحيث تصبح المحبة مصدراً أصلياً للوجود نابعاً من صميم الكون والنفس الإنسانية؛ هذه المحبة لا تقوم على أساس من التمييز العقلى، والرجوع إلى لوائح أخلاقية، بل تنبع - كما سبق بيانه - من داخل الإنسان إذا ترك نفسه على سجيتها، وتخلص من تعاليم الفقهاء وحكماء الشريعة(٥)، والفضيلة بذلك

(¬¬) أى أن معرفة جوهر الشئ وحقيقته ومعنى " التاو " فيه هو السبيل إلى الحكم عليه، فكمال الفرد يبدأ من كمال نفسه.

(١) لاوتسى: " الطريق والفضيلة "، ترجمة وتعليق عبد الغفار مكاوى، ٥٤، ص: ١٣٩ - ١٤٠.

(٢) لاوتسو: " كتاب التاو - تى - تشينج ... "، ترجمة ودراسة فراس السواح، ص: ١٧٦.

(٣) المرجع نفسه، ص: ١٣٥.

(¬) فمن يحب جاره تطبيقاً لتعاليم متعارف عليها لا يعرف شيئاً عن الحب، ومن يعد إلى طبيعته الأصلية، يعرف النبع الحقيقى للمحبة، وتصرف بشكل تلقائى، وأحب دون أن يسمى ذلك حباً، لقد تخلص من تعاليم الأخلاق ليسلك الطريق إليها.

(4) Charles: Wei, Hsum Fu: "Daoism in Chinese Philosophy", P. 562 - 563.

(٥) لاوتسو: " كتاب التاو - تى - تشينج ... "، ترجمة ودراسة فراس السواح، ص: ١٦٤ - ١٦٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تقارن " بالطفل " كمثال للفضيلة فى نقائها وصيرورتها الأولى السابقة على الوجود الـذى أفسدته الأعراف الاجتماعية؛ أى أن الفضيلة بعبارة أدق معناها فى تاويـة لاوتـسى " *أن نحيى الذات الحقيقية الطبيعية فى تلقائيتها وانسجامها مع الطبيعة، وأن نصبح مرة أخـرى مثل طفل لما يزل محتفظاً بابتسامته* "[١].

إن " التاوى العظيم " هو على الدوام بلا رغبات، والخير يتحقق من خلال الإحجـام عن الفعل الذى يستمد وحيه من بساطة التاو، والسؤال الهام بالنسبة للاوتسى هـو كيـف يتعين على الناس أن يسلكوا ؟ ورده على هذا السؤال هو بإيجاز أن الناس ينبغى أن يتبنوا طريق التاو السهل، وألا يفرضوا رغباتهم على الطبيعة، وإنما أن يتبعوا مبادئ الطبيعة[٢]، ولما كانت عظمة الأشخاص هى مناط الاهتمام الرئيس، فإن العالم الإنسانى له الـصدارة، أما عالم الأشياء فيحتل مرتبة ثانوية، وهذه السمة تتجلى فى " الكونفوشية " فى التأكيد على النزعة الإنسانية الاجتماعية، وتبدو واضـحة فـى " التاويـة " فـى الوحـدة الـصوفية والأنطولوجية بين النفس والكون، علماً بأن من أهم خصائص التاوية أنهـا تـشدد علـى المستوى الرفيع للحياة، وتهدف إلى الوصول إلى الوجود الحقيقى للإنسان[٣].

(رابعاً) الوجود الحقيقى عند هايدجر فى تفكيره المتطور :

(أ) الوجود الحقيقى وظاهرة الضمير :

يمكن القول بأن الوجود الحقيقى والوجود الزائف أسلوبان لوجود الإنسان - فـى - العالم؛ فليس الوجود الحقيقى وثبة خارج العالم عند هايدجر، وإنما ضرب من السلوك فـى هذا العالم لإدراكه، وإدراك الوجود الزائف وسيلة ضرورية للوصول إلى الوجود الحقيقى، فضلاً عن أن الوجود الحقيقى حركة وتعديل للموجود الإنسانى بوصفه موجوداً قادراً على التحرك نحو الوجود الحقيقى لأنه (إمكان - وجود).

أما " الوجود الزائف " فهو تمهيد ضرورى لوصف " "الوجود الحقيقى "، ولا يعنى ذلك أن الوجود الزائف أقل واقعية من الحقيقى، وإنما يعنى ضرورة الكشف عن اللحظات الزائفة من الوجود اليومى التى تجنبنا مواجهة السؤال الأنطولوجى الأساسـى أو سـؤال

---

(1) Charles: Wei, Hsum Fu: "Daoism in Chinese Philosophy", P. 564.

(٢) جون كولر: " الفكر الشرقى القديم،ترجمة كامل يوسف حسين ،مراجعة إمام عبد الفتاح إمام،العدد١٩٩،سلسلة عالم المعرفة ،المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب،الكويت،١٩٩٥م،ص: ٣٧٩.

(٣) المرجع نفسه، ص: ٣٢٧.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الوجود، ولا تخفى المزايا السيكولوجية لهذا السؤال[١].

الموجود الإنسانى - إذن - فى حالة وجوده بالقرب من الموجودات داخل العالم يجرب " السقوط "[¬] بمعنى فقدان الذات فى غمار الإنشغال بالأشياء والموجودات من جهة، ومن جهة أخرى يهتم بدافع من قلق كامن خفى بآنيته، ويلقى بوجوده الخاص فى صورة " المشروع "، ويتنازعه هذان الحالان على الدوام؛ فإما وجود زائف أى وجود الناس، أو وجود حقيقى [٢].

ولقد تناول هايدجر العديد من الظواهر[¬] ليحدد معنى الوجود الحقيقى للإنسان من خلالها، وكانت ظاهرة الضمير مثالاً لذلك؛ فظاهرة الضمير عند هايدجر نداء، والموجود الإنسانى منذ البداية يعانى من الضياع وفقدان الذات، وللعثور على هذه الذات يحتاج إلى "شهادة" تحرر ممكناته، وتتحقق هذه الشهادة عن طريق صوت الضمير، علماً بأن هذه الشهادة ظاهرة واقعية تعبر عن قدرتها على اختيار وجودها الحقيقى، ولا يعنى ذلك أنها واقعة يمكن ملاحظتها والبرهنة عليها، وإنما هى فقط ظاهرة وجودية أصلية. والأمر الهام عند هايدجر أن نداء الضمير لا يعبر عن رابطة كونية، وإنما عن رابطة ذاتية، لأن الضمير فى أساسه وماهيته ضمير الموجود الإنسانى؛ وعلى ذلك فتفسير ظاهرة الضمير ينبغى أن يكون تفسيراً أنطولوجياً[٣].

وانتهى هايدجر إلى أن نداء الضمير هو طريق الموجود الإنسانى إلى الوجود الحقيقى للأسباب التالية:

(١) لأن النداء محاولة لاسترداد الموجود الإنسانى من سيطرة الناس، ولأنه ينبهه إلى أسلوب الوجود الذى تحقق من خلاله الذات وجودها الحقيقى.

(٢) لأن الإنصات إلى النداء هو " فهم صوت الضمير "، ويتم هذا الفهم بعودة الموجود الإنسانى إلى نفسه وإلى إمكاناته الحقة.

---

(١) كاتبة السطور: الوجود الحقيقى عند مارتن هايدجر،منشأة المعارف ،الإسكندرية ص: ٢٢٢.

(¬) **Verfallen - Fall.**

(٢) المرجع نفسه، ص: ٢٥٣.

(¬) قام هايدجر بتحليل ظواهر الموت والخوف والعدم والقلق، والتصميم ... الخ تحليلاً فينومينولوجياً فريداً.
(لمزيد من التفاصيل راجع: الوجود الحقيقى عند مارتن هايدجر لكاتبة السطور).

(٣) المرجع نفسه، ص: ٣٦٨.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(٣) لأن النداء مرتبط بالقلق الذى يجرب فيه الموجود الإنسانى تفـرده، وإمكـان وجوده الحقيقى.

(٤) لأن نداء الوجود الحقيقى " صامت " فى مقابل الوجود الزائف الـذى يتـسم أساساً بالضجيج والضوضاء، والثرثرة، وليس هذا الصمت سوى " لوجوس " يكشف عـن ظاهرة الضمير، وبنيته الوجودية[١].

يتضح لنا مما سبق أن المعيار الوجودى " للوجود الحقيقى " عند هايدجر يتصف هو الآخر بالخصائص التالية:

(١) إنه معيار صورى لا مادى، لأن فكرته ترتبط باعتبارات صورية، ولأن صـورة "الوجود الحقيقى" هى معيار أصالته عند هايدجر، وتعنى هذه الصورية مدى تحقيـق المعيـار للوحدة والكلية بدلاً من أن يكون وجود الإنسان مبعثراً، ومدى ممارسته للحرية بدلاً من حكـم الرأى، والمعايير، والأذواق السائدة، والمؤثرات الخارجية كما هى الحال فى " الوجود الزائف".

(٢) إن الطابع الصورى للتصور الوجودى للوجود الحقيقى يكتسب مـضمونه عـن طريق " الوجود المشترك "[¬] بوصفه تركيباً أساسياً للموجود الإنسانى، فليس هناك تـصوراً للوجود الحقيقى يمكن أن يخلو من البعد الاجتماعى، ولا يتعارض ذلك مع واقع الذات الضائعة فى عالم " الناس " بوصفها صورة معدلة أو مشوهة من " الذات الحقيقية " أو الأنا - فـى - العالم[٢].

(٣)ان الوجود الحقيقى يتألف من الآنات الزمانية الثلاثة: المـستقبل، والماضـى، والحاضر، و الموجود الإنسانى زمانى من حيث هو كذلك، وإن له تاريخاً خاصاً يـضعه بنفسه عندما يقرر أن يكون نفسه فى هذه " اللحظة " الراهنة[٣].

(ب) الوجود الحقيقى فى " الزمان والوجود " :

وجدير بالذكر أن هايدجر فى محاضرته " الزمان والوجود **"Zeit & Sein"** التى ألقاها فى فرايبورج فى ١٩٦٢/١/٣١ قد استأنف الحديث عن الزمان وعلاقتـه بـالوجود

---

(١) المرجع نفسه، ص: ٣٦٩.

(¬) **Mitsein - Being with.**

(٢) المرجع نفسه، ص: ٣٧٧.

(٣) المرجع نفسه.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بطريقة مختلفة عما جاء فى " الوجود والزمان " ١٩٢٧ **"Sein & Zeit"** حيث أكد على " الوجود بوصفه حضوراً "، يقول فى هذا الصدد: ... *منذ بداية الفكر الأوروبى الغربى وحتى يومنا هذا والوجود يعنى الشيء نفسه مثل الحضور ... فتصور الحضور نجده فى كل التصورات الميتافيزيقية عن الوجود، وتشتمل عليه كل تعريفات الوجود ...* »[١].

يتضح من النص السابق أن " أسلوب الحضور " قد تغير خلال تاريخ الفلسفة، وأن الوجود قد اتخذ أشكالاً أساسية منها على سبيل المثال: " الواحد المتفرد "، " اللوجوس " الذى يجمع الكل مثل " المثال " **idea** أو " الماهية " **ousia** أو " الفعل " **energia** أو بوصفه " كشفاً " يمكن التعبير عنه بالقول، أى يمكن التفكير فيه[٢].

إذن " أولوية الحضور " هى مقولة محاضرة " الزمان والوجود " كمثال على فلسفة هايدجر المتطورة بوصفها تساؤلاً ومهمة للتفكير « *فنحن مرتبطون بوصف الوجود على أنه حضور ونستمد ذلك من بداية انفتاح الوجود* »[٣].

ويشير أيضاً هايدجر إلى أن الوجود - فضلاً عن كونه حضور - فهو عطاء أو هبة، وهبة الوجود وعطاؤه هى " "التفكير "[٤].

أما عن معنى العطاء كما وردت فى محاضرة " الزمان والوجود " وعلاقة هذه المعانى بالوجود الحقيقى عنده فهى كما يلى:

(١) الوجود يهب أو يعطى بمعنى ترك الموجود - يوجد :

فالإنسان فى حضوره يتلقى كهبة حضور الوجود بإدراكه عطاء الوجود، وأحد معانيه " هو ترك الموجود - يوجد "[¬]، وإذا لم يتلق الإنسان هذه الهبة عن طريق حضور الموجود، فلن يبق الوجود محتجباً، وإنما يبقى الإنسان أيضاً بعيداً عن مجال الوجود، بل لن يكون الإنسان إنساناً "[٥]. أى أن " ترك الموجود - يوجد " هو حضوره

---

(1) Heidegger, M.: "Zur Sache das Denkens", Max Niemeyer Verlag, Tübingen, Germany, 1996, S. 36.
(2) Heidegger, M.: "On Time & Being", Trans. By J. Stambaugh, Harper & Raw Publishers, New York, 1972, P. IX.
(3) Heidegger, M.: "Zur Sache …", S. 6.
(4) Heidegger, M.: "Über den Humanismus", Vittorios Klostermann, Frankfurt am Maiu, 1947, SS. 22 - 23.

(¬) للترك عند هايدجر معان متعددة فهو يعنى يعطى **geben** ويقر **zulassen**، ويرسل **schicken**، ويمتد **reichen**، وينتمى **gehören lassen**، ولهذه الأفعال صورة زمانية عامة بوصفها أفعالاً، وهى المعنى الزمانى للوجود

(5) Heidegger, M.: "Zur Sache …", S. 5.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فى الانفتاح[١].

ولكى ندرك الوجود في أى موضوع أو شئ يتعين علينا أن نصغى إلى " نداء الوجود " فى زمن قل فيه من ينصت إلى هذا النداء، وإذا لم " نجرب " الوجود بوصفه كشفاً وعطاءً فإننا لا ننفتح على الشئ، ونحن ندرك وجود الموجود فقط لأننا منفتحون على الزمان الحقيقى أى الحاضر المشتمل على لحظتى المستقبل والماضى؛ فالوجود حضور أو انتشار فى الحضور، والانتشار معناه الانبساط فى الحضور أى الانفتاح، ومعنى ذلك الانطلاق والتحرر خارج الانزواء[٢]. والأرجح أن ماهية الإنسان عند هايدجر تقف فى الخارج **Ek - sistent** فى انفتاح الوجود، وهذا الانفتاح ينير العلاقة بين الذات والموضوع، ويشير ذلك إلى أن الذاتية عند هايدجر تحمل طابعاً ثيولوجياً[٣].

(٢) العطاء بمعنى الإنارة :

الزمان الحقيقى عند هايدجر رباعى الأبعاد[¬]: المستقبل والماضى والحاضر، والتلامس بينهم، وهذا التلامس هو الذى يفتح الأبعاد الثلاثة الأخرى بعضها على بعض؛ أى أن الزمان الحقيقى يقوم على " امتداد المنفتح "، والامتداد هنا يوصف بأنه عطاء وانفتاح، كما أن البعد الرابع هو الذى يحدد الأبعاد الثلاثة الباقية.

والزمان الحقيقى بوصفه امتداداً هو فى حد ذاته عطاء مستنير، كما أن الكشف عن الوجود يدعو الموجود الإنسانى إلى أن يوجد بوصفه نوراً، وإلى أن يصبح موضع الإنارة فى العالم، والإنارة فى حد ذاتها هى الوجود[¬¬][٤].

وجدير بالذكر أن مفهوم الحرية عند هايدجر مرتبط أيضاً " بترك الموجود - يوجد"، وهبة النفس للموجود؛ فالحرية هى التى تجعل الموجود الإنسانى يهب نفسه للمنفتح، وهى لا تحقق معنى الحرية إلا بأن تكون خارج نفسها بالقرب من الموجودات، وماهية الحرية تماثل ماهية الحقيقة فى الانكشاف والتعرض للوجود[٥].

---

(1) Ibid, S. 40 - 41.
(2) Heidegger, M.: "Über den Humanismus", SS. 35 - 36.
(٣) عبد الرحمن بدوى: " الزمن فى المذهب الوجودى عند مارتن هايدجر "، عالم الفكر - المجلد الثامن - العدد الثانى (يوليو - أغسطس - سبتمبر)، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٧٧، ص: ٢٠٦.
(¬) Vier dimensionale Zeit.
(¬¬) Die Lichtung selber aber ist das Sein.
(4) Heidegger, M.: "Zur Sache …", S. 16.
(٥) مارتن هايدجر: " نداء الحقيقة "، ترجمة ودراسة عبد الغفار مكاوى، ص: ١٥٤ - ١٥٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(٣) العطاء بمعنى الحادث(¬) :

ذهب هايدجر إلى أن ما يحدد علاقة الانتماء بين الوجود والزمان هو ما نسميه " بالحادث " على أن نضع فى اعتبارنا أن الحادث ليس مجرد " ما يحدث " أو ما يجرى بالمعنى الشائع للكلمة؛ وإنما هو الذى يجعل الحدوث أمراً ممكناً(١).

وعلينا أن نفهم الحادث بمعنى " المجئ إلى الذات "؛ ذلك المجئ منغمر فى الحادث؛ فالحادث ليس أمامنا ولا فى مواجهتنا، ولا هو ما يشمل كل شئ؛ إنه " يُقتنى "، وهو ما يدع المجئ إلى الذات أمراً ممكناً.

فالحادث يستحدث الانتماء بين الوجود والإنسان، وفى هذا الانتماء " الإنسان " هو المنتمى فى رباع العالم أى فى العلاقة التى تجمع بين الآلهة، الخالدين، الأرض والسماء والفانين(٢).

إن تفكير هايدجر فى " الحادث " هو بمثابة حركة تعبر عن انفتاح الموجودات، وتتجه نحو الانفتاح بما هو كذلك الذى يبقى محتجباً فى الموجودات، ومع ذلك يظل موضوعاً للتفكير مما يعبر عن " الحركة الجدلية " التى يعالج بها هايدجر مفهوم الوجود.

يتضح مما سبق أن طريق المحاضرة بأسره أو تعريف الموجود فى ضوء " الحادث " هو بمثابة عودة إلى الأساس أو الأصل، وفيها تكون العلاقة بين الوجود والحادث هى العلاقة بين القبلى والبعدى، وهذا القبلى هو رابطة ذات معنى هيجلى توصف بأنها استيعاب أو اندماج للوجود فى الحادث(٣).

ويمكن مقارنة " الحادث " بوصفه الكلى والأسمى والمقابل لمطلق " هيجل ". عند هيجل الإنسان هو الموضع الذى يتجه فيه المطلق إلى ذاته، مما يؤدى إلى تغلب الإنسان على تناهيه؛ أما عند " هايدجر " فالتناهى على وجه الخصوص هو موضوع اهتمامه، ليس فقط تناهى الإنسان، وإنما تناهى الحادث ذاته(٤).

محاضرة " الزمان والوجود " - إذن - محاولة للتمهيد للتفكير أو لتجربة الاستقرار فى الحادث؛ فيبقى " إيقاظ الحادث " تجربة نخوضها، وهو مرتبط بالضرورة باليقظة من نسيان الوجود.

(¬) **Ereignis - Appropriation - Event - Concern**

(1) Heidegger, M.: "Zur Sache …", S. 20.

(٢) عبد الرحمن بدوى: " الزمن فى المذهب الوجودى ... "، ص: ٢٠٩.

(3) Heidegger, M.: "Zur Sache …", SS. 32 - 33.

(4) Ibid, SS. 251 - 253.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعقيب ...

نحاول فى هذا التعقيب الإجابة عن السؤال الأخير فى هذا البحث عن مدى اقتراب مفهوم " لاوتسى " عن الإنارة والانفتاح من مفهوم الإنارة والانفتاح عند هايدجر فى تفكيره المتطور بصفة خاصة، وعلاقة ذلك بمعنى الوجود الحقيقى عند كليهما.

مما سبق يتضح لنا أن " لاوتسى " و " هايدجر " قد تناولا مفهومى الإنارة والانفتاح بمعنيين مختلفين تماماً، فاستخدم " لاوتسى " الإنارة والانفتاح بالمعنى الترانسندنتالى للفضيلة، واستخدم هايدجر " الإنارة والانفتاح " بالمعنى الأنطو - هيرمينوطيقى للغة، وإن إلتقيا - على أقل تقدير - فى بعض التصورات الهامة كتصورى السكون والعدم كما يلى :

(أولاً)الإنارة والانفتاح فى التاو بالمعنى الترانسندنتالى للفضيلة :

ويمكن إيجازه فيما يلى :

(أ) الإنارة والانفتاح بمعنى السكون والاستسلام الخلاّق للطبيعة؛ فالتاوى يدرك لا جدوى الكلمات، ويثبت قلبه على حقيقة الفراغ - أو العدم وفقاً لتعبير هايدجر - وتقتصر مهمة المعلم على الأخذ بيد المريد ليكتشف الحقيقة وحده من خلال تجربة خاصة يعانيها، وكذلك الحال عند هايدجر فى مجال الإنارة والانفتاح حيث تكون تجربة الموجود الإنسانى ذاتية فردية ولكن بمعنى أنطولوجى.

هذا، وتفتح الحقيقة الروحية للفراغ البصيرة على " الفراغ العظيم " الذى يعطى دون أن ينضب معينه، ومن خلال السكون، وإفراغ الذهن من كل انشغال بالذات الفردية يمكن تحقيق جوهر الفراغ، وفى حالة الوصول إلى الفراغ التام يصل الفرد إلى العدم الخلاق الذى هو جوهر التاو أو هو جوهر الوجود عند هايدجر كما سبق بيانه. إذن، الاستسلام عند لاوتسى هو نوع من السكينة تذكرنا بهايدجر، وهى موقف سلبى بالمعنى الخلاّق للسلب يهيئ الاقتراب من الحقيقة الروحية للفراغ.

(ب) مفهوم الفضيلة وعلاقته بالإنارة والانفتاح :

الفضيلة عند " لاوتسى " هى الحركة الداخلية التى تقوم على تفتح المظاهر من الداخل نحو الخارج لتنتظم فى كل موجود متناسق من تلقاء ذاته، وتمثل وعى الحكيم المنفتح للكون، والحكيم فى تجاوزه لحدود الأنا الفردية يعبر عن نوع من القوة الداخلية المنبثة فى الكون والإنسان علماً بأن المفهوم التاوى للقوة يعبر عن فاعلية تلقائية دونما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قسر. إن الحكيم عندما ينسى نفسه يجدها، ويصبح قادراً على تحقيق ذاته.

(ج) الهدف الأسمى للحكيم هو التشبه " بالتاو " أو تحقيق ذات منفتحة: فالحكيم ينكر الذات الفردية تأكيداً للذات المنفتحة التى تتضمن الأنا الفردية وتعمل على تجاوزها.

إن عقل الحكيم فى ذلك لأشبه بمرآة للكل، مثله فى ذلك مثل التاو الذى يتخلل عقله كل شئ، علماً بأن الذات عندما تنظر إلى نفسها من خلال التاو، وتتحول إلى ذات منفتحة، تكتشف الحرية الكبرى: حرية الامتثال إلى تلقائية الكون وحركة التاو عند لاوتسى، أو حرية الإنصات إلى نداء الوجود عند هايدجر.

والذات عند " التاوى " تتجاوز جميع مظاهر الاختلاف، وتعكس كالمرآة عدداً غير محدد من العوالم، يمثل كل منها نظرة معينة لعالم ما، فضلاً عن أن الانفتاح الذى يحققه التاوى يعبر عن أسلوب خاص فى مواجهة الأشياء، علماً بأن تحول الأشياء يعنى فى التاوية أنه لا وجود لفقدان كامل، وإنما صيرورة لا تنتهى.

(ثانياً) الإنارة والانفتاح عند هايدجر فى تفكيره المتطور :

" المعنى الأنطو - هيرمينوطيقى للغة "

ظهر هذا المعنى جلياً فى تفسير هايدجر لماهية اللغة على وجه الخصوص؛ حيث قلب " هايدجر " علاقة الإنسان باللغة رأساً على عقب كما يلى :

(أ) توارى الإنسان قليلاً عند هايدجر كى تحتل اللغة موقع الصدارة؛ فاللغة هى التى تستخدم الإنسان، وعليه أن ينصت إليها، والإنسان من حيث طبيعته " ملقى " به فى اللغة.

واللغة بذلك تدل، وتشير، وتصل إلى كل جهات الوجود؛ فتظهر الموجودات أو تحجبها، و " الإظهار " حدث يدركه الإنسان بالإنصات إلى حديث اللغة، وحديث اللغة هو الحدث الذى يمنح الإنارة والانفتاح للموجود، ويعطيه كلمة " يوجد ".

إذن، كلام الإنسان الحقيقى إنما هو استجابة " لصوت الوجود الصامت "، والموجود الإنسانى فى حديثه يمكنه أن يصل إلى الحقيقة فقط عندما يتجه إنصاته وكلامه نحو قول الوجود.

(ب) اللغة - عند هايدجر - مشروع للإنارة والكشف عما هو موجود؛ فاللغة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عندما تسمى الموجودات لأول مرة تكون هذه التسمية مشروعاً للإنارة، والقول الذى يتخذ هيئة المشروع هو الشعر، أو أن الشعر هو القول الذى يكشف عما هو موجود، واللغة هى بمثابة حدوث لهذا القول؛ أى أن اللغة هى أداة الإنسان لإظهار المحتجب أو هى تجلى الموجود الإنسانى فى العالم الخارجى.

ومن ناحية أخرى، فإن " الشعراء " هم الذين يكشفون عن حقيقة الوجود، لأنهم وحدهم الذين يؤسسون ما هو باق، والباقى هو الوجود نفسه الذى يتجلى فى نوره كل موجود، فضلاً عن أن " الشاعر " يسمى " المقدس " بينما ينطق " المفكر " عن "الوجود"؛ لأن الكلمة الشاعرية تكشف ما يُسمى بإحضاره فى " نور العالم "، والعالم فى الوقت نفسه ذو طبيعة أرضية، وهو - من ثم - يحتجب عند انكشاف الموجود. إن كل ما يوجد يوجد من جراء الإنارة، وبفضل هذه الإنارة يتم انكشاف الموجودات.

(ج) اللغة - عند هايدجر - هى الجهة التى تحقق الحضور للرباع الفريد: فهى التى تسمح للأرض والسماء، وتدفق الأعماق وقوة الأعالى بأن تتقابل وتتفاعل، وفى هذا التفاعل يتم القرب والإظهار والإحضار، أى يكون الوجود. إذن اللغة هى سيدة العلاقات، ومحركة العالم، وكاشفة الوجود.

ويعنى ذلك أن " اللغة " هى التى تدعو إلى حضور رباع العالم الفريد، وتدعو الأشياء إلى الحضور، كما تدعو إلى العلاقة الحميمة بين العالم والأشياء والفرق بينهما، إنها هى التى تحمل تفاعل الرباع، وفى هذا التفاعل يحدث القرب، والقرب والقول عند هايدجر أسلوبان لإظهار اللغة، وإحضارها للموجودات من التحجب إلى النور والانكشاف، ولكى نجرب الوقوف فى مواجهة الأشياء والعالم علينا أن نستنقذ أنفسنا من الإطار الحسابى للعقل.

إن الصلة الحميمة بين العالم والشئ لا وجود لها إلا عندما ينفصل كل منهما عن الآخر بوضوح، ويسمى هايدجر هذا الانقسام - كما سبق بيانه - " بالفرق "، وفى هذا الفرق يتم حضور الأشياء وصلتها الحميمة بالعالم، ومن خلاله يصبح العالم والأشياء فى وحدة.

ويتضح من ذلك أن الدعوة الأولى إلى " القرب " بين الأشياء والعالم هى بمثابة نداء حقيقى يعبر عن ماهية حديث اللغة؛ فاللغة " تتحدث "، وما تدعو إليه يأتيها من خارج

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفرق إلى مجاله الداخلى حيث تستقر الأشياء فى العالم، وبذلك يحرر " الفرق " الأشـياء ليحقق كل منها وجوده الخاص.

(د) اللغة هى التجميع الأصلى فى تفسير " هايدجر " لكلمة " لوجوس "؛ إنها لغة السكينة أو لغة الماهية. ويعنى ذلك أن اللغة " ساكنة " بلا صوت، لأنها هى التى تنعم على الإنسان بفعل " يوجد " بحيث تكون لغة السكينة هى لغة الماهية.

واللغة فى ذلك تستخدم الإنسان كى ينطق عما تقوله اللغة الساكنة؛ أى أنهـا تـدعو الأشياء للحضور، والأشياء التى تدعوها اللغة وتسميها تجتمع فيما يسميه هايدجر بالربـاع الذى سبقت الإشارة إليه.

وفى ضوء ما سبق وصف " هايدجر " الوجود بأنه " لغة اللوجـوس فـى ضـوء الانفتاح "، واللوجوس يمدنا بالأساس اللازم للاستخدام الحقيقى للكلمات، وهو الأمر الـذى يدركه الشعراء والمفكرون إدراكاً حقيقياً؛ أى أن اللغة فى أصلها " لوجوس " وصمت يجد فى رحابه كل الموجودات ما يحتاجونه من راحة وسكينة، علماً بأنه يمكننـا القـول بـأن "التاو" عند لاوتسى " لوجوس " أيضاً عندما يحقق للموجود الشعور بالسكينة والراحة ...

وإذا كنا قد انتهينا إلى أن " للإنارة والانفتاح " عند لاوتـسى معنـى ترانـسندنتالياً للفضيلة، ومعنى أنطو - هيرمينوطيقياً عند " هايدجر الأول " فى تحليله للظواهر الوجودية ومنها ظاهرة الوجود، و" هايدجر الثانى " فى تفسيره لماهية الزمان، فإن " الوجود الحقيقى " عند لاوتسى يرتبط أيضاً بالفضيلة بمعناها الترانسندنتالى أى انفتاح الذات علـى العـالم والكون بأسره كما يلى :

(أ) الإنسان الحقيقى عند لاوتسى يسلك بتلقائية دون تفكير مسبق، أما فى وجـوده الزائف فيسعى إلى لفت الأنظار وجذب انتباه الآخرين، والسعادة الحقة إنمـا تكمـن فـى الرضا عن النفس، وفى السلوك النابع من معرفة فعلية بالذات.

والوجود الحقيقى هو ألا تتبع شيئاً فيما عدا التاو، والتاوية فى ذلك لا تأبه للأخلاق المفروضة على الإنسان من الخارج، وإنما للسلوك التلقائى النابع مـن الفـرد فيتـصف بالضرورة بالصفة الخلقية، بحيث تصبح " المحبة " مصدراً أصلياً للوجود نابعاً من صميم الكون والنفس الإنسانية.

(ب) الفضيلة فى التاوية معناها " إحياء الذات الحقيقية الطبيعية بكل ما تتصف به

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من تلقائية وانسجام مع الطبيعة "، والحكيم ينحصر دوره فى أن يقدم العون للإنسان على تحقيق " ذات منفتحة بحيث يكون سلوكها عين أخلاقها.

(ج) النزعة الإنسانية والاجتماعية واضحة فى التاوية مما يحقق وحدة صوفية وأنطولوجية بين النفس والكون؛ فللعالم الإنسانى وعظمة الشخص مكان الصدارة بحيث يحتل عالم الأشياء مرتبة ثانوية، والتاوية فى ذلك كله تلح على أهمية السعى إلى تحقيق الوجود الحقيقى للإنسان، وهو مسعى أساسى أيضاً لدى هايدجر.

الوجود الحقيقى عند هايدجر فى " الوجود والزمان " وفى تفكيره المتطور :

قدم هايدجر فى " الوجود والزمان " ١٩٢٧م مفهوماً للوجود الحقيقى من خلال تحليله الفينومينولوجى لظواهر عديدة للموجود الإنسانى، ومنها ظاهرة الضمير على سبيل المثال، وكان تفسيره لهذه الظاهرة أنطولوجياً متسقاً مع مذهبه العام.

ولقد اتضح أن " الوجود الحقيقى " و " الوجود الزائف " أسلوبان لوجود الإنسان - فى - العالم، وأن إدراك الوجود الزائف عند هايدجر وسيلة ضرورية للوصول إلى الوجود الحقيقى الذى هو حركة وتعديل للموجود الإنسانى بوصفه موجوداً قادراً على التحرك نحو الوجود الحقيقى لأنه (إمكان - وجود)، كما اتضح ضرورة الكشف عن اللحظات الزائفة من الوجود اليومى التى تجنبنا مواجهة السؤال الأنطولوجى الأساسى أو سؤال الوجود.

إن الموجود الإنسانى فى حالة وجوده الزائف بالقرب من الموجودات داخل العالم يجرب " السقوط " بمعنى فقدان الذات فى غمار الإنشغال بالأشياء والموجودات من جهة، ويهتم بدافع من قلق كامن خفى بآنيته، ويلقى بوجوده الخاص فى صورة " المشروع " من جهة أخرى، ويتنازعه هذان الحالان على الدوام؛ فإما وجود زائف أى وجود " الناس " أو وجود حقيقى، هذا، ويذكرنا هذا الإنشغال والانغمار فى عالم الأشياء والموجودات وعلاقته بالوجود الزائف بما ذكره لاوتسى فى هذا الصدد.

بناءً على ما سبق يمكن القول بأن " التاوية " فى فكر لاوتسى قد اختلفت عن تفكير هايدجر المتطور اختلاف " الفضيلة الترانسندنتالية " بمعنى الانفتاح فى تلقائية على الطبيعة والعالم عن " الأنطولوجيا الهيرمينوطيقية " فى تفسيرها لظواهر الموجود الإنسانى، وترتب على ذلك اختلاف فى الغاية ووسائل تحقيقها فى فكر كل من لاوتسى وهايدجر، فضلاً عن صرامة أنطولوجيا هايدجر فى مقابل الحكم المأثورة عند لاوتسى شاعرية الطابع، وإن لم تخل من الفلسفة، ولم يمنع هذا الاختلاف الحاسم الاتفاق فى بعض التصورات النوعية كالسكون والصمت والعدم مما سبق تناوله تفصيلاً.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الخاتمة ...

يقول لاوتسى : (¬)

« *الذى يعرف، لا يتكلم*

الذى يتكلم، لا يعرف

بعيد بلا مسافة

قريب بلا مسافة ».

ويقول هايدجر

« *الصمت من حيث الماهية يصمت* ».

أى يكون متحركاً ومضطرباً أكثر من أى شئ آخر؛ فالعارف إذ يهجر الكلمات، وينسى التفكير بالمفاهيم، يتجنب إغواء الحواس، وينكفئ نحو الداخل، عندئذٍ يصير العارف والمعرفة وموضوع المعرفة شيئاً واحداً، ويواجه التاوى العالم بعقل فارغ ويتلقى المعارف الحقيقية دون أفكار مسبقة بحيث تتحول المعرفة إلى معرفة عليا بدون موضوع، وبذلك يعرف التاوى دون أن يشعر بأنه يعرف(١)، ويتحرك من الكلمات إلى الصمت، ومن القصد إلى التلقائية، وكلما استرضى العقل، اقترب أكثر من مركز الوجود الساكن الثابت، فالتاو لا نشير إليه إلا بصيغة النفى، وهكذا وصولاً إلى حالة النفى المطلق، وعندما ننفى عنه كل شئ، نكون قد أثبتناه الإثبات الذى لا يقابله نفى(٢). وهايدجر فى فلسفته عن الصمت يلتقى إلى حد بعيد مع المفهوم التاوى عن الطريق كما سبق أن رأينا، ليبقى السؤال المحورى الذى نحاول الإجابة عنه فى خاتمة البحث عن مدى تأثر هايدجر بمفهوم " التاو " كما ورد فى كتاب لاوتسى " الطريق والفضيلة "، وذلك من خلال نتائج سبق أن أوردناها نوجزها فيما يلى:

(¬) لاوتسو: " كتاب التاو - تى - تشينج "، ترجمة فراس السواح، ص: ٩١.

(١) المرجع نفسه، ص: ٢٢٨، ٢٤٧.

(٢) المرجع نفسه، ص: ١٩٩.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أولاً: " التاو " عند لاوتسى ليس كمثله شئ، ويقترب بهذا المعنى من مفهوم هايدجر عن " الفرق الأنطولوجى " بين الوجود والموجود، فضلاً عن أن " لوجوس " اللغة يحدث بوصفه ذلك الفرق بين العالم والأشياء.

ثانيا: التاو هو التيار الكلى الخفى الذى يحرك كل شئ ويجعل كل الطرق ممكنة رغم أنه ساكن وثابت فى جوهره، أما عند هايدجر فإن " الفرق الأنطولوجى " بين الوجود والموجود يحقق - بالمثل - السكينة للشئ بطريقة مزدوجة عن طريق ترك الأشياء لتبقى فى حضور العالم، وترك العالم ليكتفى بنفسه فى الشئ.

ثالثاً: المهمة الأساسية للإنسان فى وجوده الحقيقى هى التفكير فى " معنى الوجود " عند هايدجر، أو العثور على " التاو " عند لاوتسى، ولهذا التفكير الأولوية على التفكير الحسابى لأنه يحافظ على مهمة التفكير فى حقيقة الوجود عند هايدجر، وكذلك الحال عند لاوتسى الذى يدعو إلى نوع من التقنية ذات الطابع الإنسانى الذى يبقى على صلة الإنسان بالعالم المحيط، فهل شعر لاوتسى ببصيرته الثاقبة قبل ألفين وخمسمائة سنة ما آل إليه الناس فى عصر المعلوماتية والاتصالات الراهن ؟ وهل شعر بما يشعر به إنسان العصر الحديث من عزلة وتعاسة رغم كل ما قدمه له عصر العلم والتكنولوجيا متفقاً بذلك مع هايدجر كل الاتفاق.

يتضح من ذلك أن التفكير الأساسى فى الوجود أو فى التاو توضيح وكشف يفترض تجربة باطنية هى أساس كل تعبير خارجى.

رابعاً: أن القرب بين الشعر والفكر عند هايدجر نوع من " القول "، والقرب فى قربه هذا هو فى حد ذاته " الحادث " ومن خلاله يتجه الشعر والفكر إلى ماهيتهما الحقيقية، علماً بأن مصطلح " الحادث " يقترب من المصطلح اليونانى " لوجوس " والمصطلح الصينى " تاو " من حيث المعنى، ويشير إلى الفرد المتفرد، كما يشير إلى قرب الوجود الشديد منا، ويقربنا من الوجود الذى ننتمى إليه، مما يعنى أن السؤال عن الأصل هو سؤال عن " التاو " عند لاوتسى وسؤال عن " الوجود " عند هايدجر.

خامساً: عند " لاوتسى " لا معنى للا وجود إذا لم يكن مقترناً بالوجود، فالشئ لا يتخذ وظيفته وشكله إلا بفضل العدم، وعند هايدجر العدم مقولة وجودية؛ فالميتافيزيقا تبحث فى العدم بوصفه التساؤل الميتافيزيقى الحقيقى عن " وجود الموجود "، أى أن المنطق والعلم تابعان للميتافيزيقا التى تضع حدود الحقيقة والمعرفة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سادساً: ترك " الموجود - يوجد " عند هايدجر يقترب فى معناه - كما سبق أن أوضحنا - من مفهوم " التخلى " التاوى مع فارق أساسى وهو أن هايدجر قد تناوله فى معرض حديثه عن ماهية اللغة؛ فوظيفة اللغة هى ترك الوجود ليكون ذاته، والمعنى الأساسى للتفكير عنده ترك الموجود - كى يوجد، وكل يعبر عن الحقيقة فى صورة كلمات.

وإذا كان التاو " خاوياً " أى بلا سمات عند لاوتسى بمعنى أنه " إمكانية "، ومصدر كل خصوصية وإبداع مستمر، وأعلى درجة من انفتاح الذات وتطورها تأكيداً لمفهوم " التخلى " عن الشخصية فى التاوية، فإن الإنسان - عند هايدجر - يتوارى قليلاً كى تبرز اللغة إلى المقدمة؛ فاللغة هى التى تستخدم الإنسان، وعليه أن يطيعها وينصت إليها، فحيث توجد لغة يوجد عالم، وحيث يوجد عالم يوجد تاريخ، لأن اللغة تضمن أن يكون فى استطاعة الإنسان الوجود بوصفه كائناً تاريخياً.

ومن ناحية أخرى فللوجود الأولوية فى حدوث اللغة ليس فقط فى إيجابيتها، وإنما فى سلبيتها، أى فى مجالها غير المقول، والإنسان عند هايدجر " ملقى به " فى اللغة، أى هو لعبة الوجود السلبى بوصفه كلاماً غير مقول يتغلغل فيه بقدر اجتيازه المعانى اليومية المألوفة، مما يذكرنا باجتياز التاوى فى " تخليه " عن عالم الحياة اليومية وتفاصيلها وصولاً إلى الوجود الحقيقى كما هى الحال عند هايدجر.

سابعاً: التفكير الأصلى عند هايدجر نوع من السكن والبناء يهتم بالأشياء، كما يتميز بمعانى الرعاية والحفاظ وهو توضيح وكشف، وليس حجة تقام على أسس منطقية؛ بل يفترض وجود " تجربة باطنية " تُعد أساساً لكل تعبير خارجى مما يذكرنا بالتجربة الباطنية فى التاوية التى تقوم على التخلى بمعنى اللافعل واللارغبة واللامعرفة. فضلاً عن أن التفكير الأصلى عند هايدجر فلسفى وشاعرى ودينى؛ " فلسفى " من حيث طبيعته التساؤلية، و " شاعرى " من حيث طبيعة اللعب فيه التى تتخذ هيئة المشروع، و " دينى " من حيث حفاظه على حقيقة الوجود ورعايته لها؛ ومن حيث كونه تضحية بأنفسنا من أجل الوجود، وثراءً لبعد القداسة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثامناً: تناول كل من " لاوتسى " و " هايدجر " مفهومى الإنارة والانفتاح بمعنيين مختلفين تماماً، فاستخدمهما الأول بالمعنى الترانسدنتالى للفضيلة، واستخدمهما الثانى بالمعنى الأنطو - هيرمينوطيقى للغة، وإن التقيا - على أقل تقدير - فى بعض التصورات الهامة كتصورى السكون والعدم. ومثال ذلك أن عقل الحكيم أشبه بمرآة للكل مثل التاو الذى يتخلل كل شئ، والذات عندما تنظر إلى نفسها من خلال التاو، تتحول إلى ذات منفتحة، وتكتشف الحرية الكبرى: الامتثال إلى تلقائية الكون وحركة التاو عند لاوتسى، أو حرية الإنصات إلى نداء الوجود عند هايدجر.

تاسعاً: النزعة الإنسانية والاجتماعية واضحة فى التاوية مما يحقق وحدة صوفية وأنطولوجية بين النفس والكون، والتاوية بذلك تلح على أهمية السعى إلى تحقيق الوجود الحقيقى للإنسان، وهو هدف أساسى لدى هايدجر على الرغم من الطابع الصورى للتصور الوجودى للوجود الحقيقى عنده؛ ذلك أنه يكتسب مضمونه عن طريق " الوجود المشترك " بوصفه تركيباً أساسياً للموجود الإنسانى.

عاشراً: قدم لنا هايدجر فى تفكيره المتطور صياغة محكمة ودقيقة لأنطولوجيا هيرمينوطيقية تناولت ظاهرة الزمان فى علاقتها بالوجود على نحو فريد لم نجد إرهاصاته عند مفكر الصين لاوتسى كما سبق بيانه تفصيلاً.

حادى عشر: الفلسفة الصينية تشير إلى تراث فلسفى ثرى متكامل، يوحى بالعظمة الإنسانية، وتفضيل الشمول المنهجى، وينبغى أن يُنظر إليه فى سياقه الخاص، وميزاته الخاصة، ولا يندرج بسهولة فى إطار التصنيفات الفكرية الأوروبية.

ولم يمنع إختلاف الفلسفة الصينية عن الفلسفة الأوروبية أن نلتمس فيها "إرهاصات" أو " بدايات أولى " تأثرت بها الأنطولوجيا الألمانية المعاصرة خصوصاً بين هايدجر والتاوية(٦). لقد اختلفا بالفعل من حيث نقطة الإنطلاق والغاية فضلاً عن صرامة أنطولوجيا هايدجر فى مقابل الحكم المأثورة عند لاوتسى شاعرية الطابع وإن لم تخل من الفلسفة، ولم يمنع هذا الاختلاف الجوهرى من الالتقاء عند بعض التصورات النوعية مثل التاو، اللوجوس، السكون والصمت والعدم ... الخ. فهل يمكن للشرق والغرب أن يلتقيا رغم مسافة البعد بينهما ؟؟

---

(٦)لا تزال التاوية عقيدة حية، وأحدث تقدير هو أنه لا يزال يعيش فى الصين ثلاثة وأربعون مليوناً من التاويين مما يدل على قوة العقيدة.
(قارن: توملين أ، و. ف: " فلاسفة الشرق " ص: ٢٨٦).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المصادر والمراجع

أولاً - مصادر ألمانية

Heidegger, M. : "Sein und Zeit", 10. Auf., Max Niemeyer Verlag, Tübingen, Germany, 1963.

_____: "Vorträge und Aufsätze dichterisch wohnet der Mensch", Günter Neske, Pfullingen, Tübingen, 1954.

_____: "Was ist Metaphysik?", Vittorio Klostermann, Frankfurt A. M., 7 Auf., Germany, 1955.

_____: "Der Urspung des Kunstwerkes", Philipp Reclanjum, Stuttgart, Germany, 1988.

_____: "Unterwegs zur Sprache das Wesen der Sprache", Gesamtausgabe, B. 12, Vittorio Klostermann, Frankfurt A. M., Germany, 1985.

_____: "Über den Humanismus", Frankfurt A. M., 1947.

_____: "Zur Sache des Denkens", Max Niemeyer Verlag, Tübingen, Germany, 1969.

ثانياً - مصادر أجنبية مترجمة

Heidegger, M. : "Essays in Metaphysics: Identity & Diff-erence", Trans. By Kurt F. Leidecker, Philosophical Library Inc., New York, 1960.

_____: "On The Way to Language - The Nature of Language",

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

Trans. By Herz P. D., Harper & Row Publishers, Inc., U.S.A., 1971.

_____: "On Time and Being", Trans. By J. Stambaugh, Harper & Row Publishers, New York, 1972.

_____: "Poetry, Language, Thought", Trans. And Introduction by Hofstadter A., Harper & Row Publishers, London, 1975.

ثالثاً - مراجع أجنبية

Gadamer, H. G.: "Heidegger's Wege - Studien zum Spätwerke, J. C. B. Mohr, Tübingen, Germany, 1983.

Gall, R.: "Beyond Theism & Atheism - Heidegger Significance for Religious Thinking", Martinus Nijhof Publishers, U.S.A., 1987.

Gelven, M.: "A Commentary on Heidegger's Being & Time", Harper & Row Publishers, New York, 1970.

Halliburton, D.: "Poetic Thinking - An Approach to Heidegger", The Uni. Of Chicago Press, Ltd, London, 1981.

Jones, W. T.: "A History of Western Philosophy from 20th Century to Wittegenstein and Sartre, sec. nd, Harcourt Brace Jovanovich, Inc., New York, 1975.

Kockelmans, J. J. : "On the Truth of Being - Reflections on Heidegger's Later Philosophy", Indiana University

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

Press, Bloomington, U.S.A., 1984.

_____: "Heidegger On Art and Art Works", Martinus Nijhoff Publishers, Netherlands, 1985.

Langan, T.: "The Meaning of Heidegger - A Critical Study of an Existentialist Phenomenology", Routledge & Kegan Paul Ltd, London, Great Britain, 1959.

Leaman, O.: "Key Concepts in Eastern Philosophy", Routledge, Great Britain, London, 1999.

Perotti, J. L.: "Heidegger, On the Divine - The Thinker, The Poet and God", Ohio Uni. Press, U.S.A., 1974.

Richardson, W. J.: "Heidegger, Through Phenomenology to Thought", Preface by M. Heidegger, Martinus Nijhoff, The Hague, Netherlands, 1963.

Sallis, J.: "Heidegger & The Path of Thinking", Duquesne Uni. Press, U.S.A., 1970.

Slatte, H. A.: "The Philosophy of M. Heidegger", Uni. Press of America, Inc., U.S.A., 1984.

Stegmüller, W.: "Main Currents in Contemporary German & American Philosophy", D. Reidel Publishing Company, Dordrecht, Holland, 4th ed., 1969.

Wahl, J.: "The Philosopher's Way", Oxford Uni. Press, Inc., New York, 1948.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رابعاً - موسوعات وقواميس فلسفية أجنبية

- **Companion Ency. Of Asian Philosophy edit. By Carr & Indira Mahalingam, Routledge, Great Britain, 2001.**

  (Cp. Charles, Wei - Hsun Fu: "Daoism in Chinese Philosophy").

- **Concise Routledge Ency. Of Philosophy, Routledge, London, (W.D.)**

- **Ency. Of Philosophy, Vol. 5 & 6, Collin Macmillan Publishers, London, 1975.**

- **Routedge Ency. Of Philosophy, edit by Graig, E., Vol. 2, London, 1998.**

- **The Cambridge Dictionary of Philosophy, 2nd edit by Robert Audi, Cambridge Uni. Press, 1999.**

خامساً - مصادر أجنبية مترجمة إلى العربية

لاوتسو : " كتاب التاو - تى - تشينج - إنجيل الحكمة التاوية فى الصين "، ترجمة ودراسة وتعليق فراس السواح، ط ١، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق، ١٩٩٨م.

لاوتسى: " كتاب الطريق والفضيلة "، ترجمة عبد الغفار مكاوى، مراجعة مصطفى ماهر، مطابع سجل العرب، القاهرة، ١٩٦٧م.

مارتن هايدجر : " ما الفلسفة ؟ ما الميتافيزيقا ؟ هيلدرلين وماهية الشعر "، ترجمة محمود رجب وفؤاد كامل، مراجعة عبد الرحمن بدوى، سلسلة النصوص الفلسفية، دار الثقافة لطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٤م.

مارتن هايدجر : " نداء الحقيقة "، ترجمة ودراسة وتعليق عبد الغفار مكاوى، سلسلة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

النصوص الفلسفية - دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٧م.

سادساً - مراجع عربية

توملين أ. و. ف.: " فلاسفة الشرق "، ترجمة عبد الحميد سليم، مراجعة على أدهم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠م.

جان فال: " نصوص مختارة من التراث الوجودى - من تاريخ الوجودية " - سلسلة نصوص فلسفية، ترجمة فؤاد كامل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م.

زكريا إبراهيم: " فلسفة الفن فى الفكر المعاصر "، سلسلة دراسات جمالية (١)، مكتبة مصر، الفجالة، القاهرة، ١٩٦٦م.

سليمان مظهر: " قصة الديانات "، مكتبة مدبولى، ط ٢، القاهرة، ٢٠٠٢م.

صفاء عبد السلام جعفر : " الوجود الحقيقى عند مارتن هايدجر "، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٠م.

---------- : " هيرمينوطيقا الأصل فى العمل الفنى - دراسة فى الأنطولوجيا المعاصرة "، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٠م.

---------- : " أنطولوجيا اللغة عند هايدجر - دراسة فلسفية فى قصيدة الكلمة لجئورجة "، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠١م.

عبد الرحمن بدوى : " الزمان الوجودى "، ط ٢، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٤.

---------- : " دراسات فى الفلسفة الوجودية "، ط ٢، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٦م.

عبد الغفار مكاوى : " مدرسة الحكمة " - مقال ما هو الشئ ؟، دار الكاتب العربى، القاهرة، ١٩٧٠م.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

---------- : " شعر وفكر - دراسات فى الأدب والفلسفة "، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥م.

محمد غلاب: " الفلسفة الشرقية "، القاهرة، ١٩٣٨م.

محمود رجب: " الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين "، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٧٠م.

سابعاً - موسوعات فلسفية عربية

عبد الرحمن بدوى : " الموسوعة الفلسفية "، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٤م.

عبد المنعم الحفنى : " الموسوعة الفلسفية "، دار ابن زيدون، بيروت، ١٩٩٢م.

---------- : " موسوعة الفلسفة والفلاسفة "، ج ١، مكتبة مدبولى، ط ١، القاهرة، ١٩٩٩م.

- الموسوعة الفلسفية، إشراف روزنتال يودين، ترجمة سمير كرم، مراجعة صادق جلال العظم، جورج طرابيشى، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط ٧، ١٩٩٧م.

ثامناً - دوريات عربية

جون كولر: " الفكر الشرقى القديم "، ترجمة كامل يوسف حسين، مراجعة إمام عبد الفتاح إمام، العدد ١٩٩، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٥م.

عبد الرحمن بدوى : " الزمن فى المذهب الوجودى عند مارتن هايدجر "، عالم الفكر - المجلد الثامن - العدد الثانى (يوليو - أغسطس - سبتمبر)، وزارة الإعلام - الكويت، ١٩٧٧م.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com